تمهيد تندرج السيميائيات ضمن أبرز التحولات المعرفية التي شهدها النقد المعاصر، إذ أسهمت في نقل الاهتمام من دراسة الأدب بوصفه تعبيرًا انفعاليًا أو مرآةً للواقع، إلى اعتباره نسقًا من العلامات القابلة للتحليل والتفكيك والتأويل. ومن ثمّ غدا النص — أدبيًا كان أم بصريًا أم ثقافيًا — بنيةً دلاليةً تتشابك داخلها أنظمة من الإشارات والرموز.وقد تبلور الدرس السيميائي في مطلع القرن العشرين عبر مسارين متوازيين: المسار اللساني مع فردينان دو سوسير الذي نظر إلى العلامة بوصفها اتحادًا بين دال ومدلول داخل نسق لغوي، والمسار الفلسفي–المنطقي مع تشارلز ساندرز بيرس الذي وسّع مفهوم العلامة ليشمل الأيقونة والمؤشر والرمز.وعليه، لم تعد السيميائيات مجرد أداة وصفية، بل تحولت إلى مقاربة نقدية شاملة تسعى إلى تفكيك آليات إنتاج المعنى، ورصد اشتغال العلامات داخل النصوص. ومن هنا تكتسب دراسة المفاهيم النقدية السيميائية أهميتها، وضبط المصطلح، وبناء قراءة علمية تستند إلى جهاز مفاهيمي دقيق.أولًا: الجذور الفلسفية للسيميائية عند الغربتُعدّ السيميائية (Semiotics) ثمرةً لتراكمٍ فلسفيّ طويل في الفكر الغربي، إذ لم تنشأ بوصفها علمًا مستقلًا دفعةً واحدة، بل تشكّلت عبر تأملات فلسفية ولسانية ومنطقية انشغلت بسؤال الدلالة، وعلاقة العلامة بالفكر واللغة والواقع. ويمكن تتبّع جذورها الفلسفية عبر محطات كبرى أسهمت في بلورة مفهوم العلامة ووظيفتها المعرفية والتواصلية.الجذور اليونانية القديمة: من الاسم إلى الدلالةيعود التفكير الأولي في العلامة إلى الفلسفة اليونانية، ولا سيما عند أفلاطون وأرسطو. ففي محاورة كراطيلوس، ناقش أفلاطون العلاقة بين الاسم والمسمّى، متسائلًا عمّا إذا كانت الأسماء طبيعية أم اصطلاحية، وصورته الذهنية، مما مهّد للتفكير في البنية الثلاثية للعلامة.أما أرسطو، فقد قدّم تصورًا أكثر انتظامًا في كتابه في التأويل (De Interpretatione)، حيث يرى أن الألفاظ المنطوقة رموز لما في النفس، وما في النفس تمثيلات للأشياء الخارجية. ويكشف هذا التصور عن وعي مبكر بأن العلامة اللغوية ليست انعكاسًا مباشرًا للواقع، بل تمرّ عبر الذهن، وهو ما سيشكّل لاحقًا أحد الأسس الفلسفية للسيميائيات الحديثة.أسهم الفلاسفة الرواقيون إسهامًا نوعيًا في بلورة التفكير السيميائي من خلال تمييزهم بين:المدلول (المعنى أو الـ Lekton)المرجع (الشيء الخارجي).ويُعدّ مفهوم اللكتون من أهم الإسهامات السيميائية في الفكر القديم، لأنه يؤكد استقلال المعنى عن اللفظ وعن الشيء معًا. وقد أثّر هذا التمييز تأثيرًا بالغًا في التصورات اللاحقة للعلامة،العصور الوسطى: العلامة في الفكر المدرسيفي الفلسفة المدرسية الوسيطة، ولا سيما عند القديس أوغسطين وتوما الأكويني، تطوّر مفهوم العلامة في سياق لاهوتي ومعرفي. مميزًا بين العلامات الطبيعية (كالدخان الدال على النار) والعلامات الاصطلاحية (كاللغة).أما توما الأكويني، فقد ربط العلامة بنظرية المعرفة، معتبرًا أن العلامات وسائط ضرورية لفهم العالم، وأن اللغة نظام دلالي قائم على الاتفاق الاجتماعي. وقد أسهم هذا التصور في ترسيخ الطابع الاصطلاحي للعلامة،مع الفلسفة الحديثة، ولا سيما عند جون لوك، ظهر مصطلح السيميائيات صراحة. اعتبر لوك أن المعرفة الإنسانية تقوم على ثلاثة علوم، أحدها علم العلامات (Semiotike)، الذي يختص بدراسة الألفاظ بوصفها أدوات للتفكير والتواصل. ويُعدّ هذا التصور خطوة حاسمة نحو استقلال التفكير في العلامة عن المباحث المنطقية والميتافيزيقية التقليدية.كما أسهمت الفلسفة التجريبية والعقلانية معًا في إبراز دور اللغة في تشكيل المعرفة، وهو ما مهّد الطريق أمام التحول اللغوي في القرن التاسع عشر.التمهيد للسيميائية الحديثة: من الفلسفة إلى العلمبلغ التفكير السيميائي ذروته الفلسفية مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، غير أن أطروحاتهما لم تكن قطيعة مع الفلسفة، بل كانت امتدادًا لها؛ إذ استند دي سوسير إلى فكرة الاصطلاح والدلالة، بينما استند بيرس إلى المنطق والفلسفة البراغماتية في تصوره الثلاثي للعلامة. ثم الوسيطة، فالحديثة، لظهور السيميائية بوصفها علمًا مستقلًا، مع احتفاظها الدائم بجذورها الفلسفية العميقة.ثانيًا: الجذور الفلسفية للسيميائية عند العربمدخل مفاهيمي وعلى الرغم من شيوع الاعتقاد بأن السيميائية علم حديث ارتبط بأعمال فردينان دي سوسير وتشارلز ساندرس بيرس، فإنّ الفكر العربي الإسلامي قد أسّس، منذ وقت مبكر، تصورات فلسفية ولسانية عميقة حول الدلالة والعلامة والعلاقة بين اللفظ والمعنى، وهو ما يمكن اعتباره جذورًا فلسفية أصيلة للسيميائية العربية.الجذور الفلسفية الأولى: اللغة والمعرفةارتبط التفكير السيميائي عند العرب ارتباطًا وثيقًا بقضايا اللغة والمعرفة والوجود. بل يتجاوزها إلى الكشف عن المعنى العقلي والوجودي. الذي تناول العلاقة بين اللفظ (الصوت)، والمرجع (الشيء في الخارج).وقد عمل الفلاسفة المسلمون، مثل الفارابي وابن سينا، على إعادة صياغة هذه العلاقة ضمن إطار إسلامي،والمعنى بوصفه صورة ذهنية،وهذا التقسيم يقارب، ما سيعرف لاحقًا بالمثلث السيميائي في الدراسات الحديثة. خصوصًا في مسألة دلالة الألفاظ. فقد ناقش المتكلمون قضايا مثل:الوضع اللغويالدلالة العقلية والدلالة اللفظية.ويرى المعتزلة أن العلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة اصطلاحية عقلية، وتكشف هذه النقاشات عن وعي مبكر بأن العلامة لا تكتسب معناها إلا ضمن سياق استعمالها، وهو مبدأ سيميائي أساسي.يُعدّ الفارابي من أوائل من نظروا إلى اللغة بوصفها نسقًا رمزيًا يخدم

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

نقل المعرفة. ففي كتابه الحروف، تناول العلاقة بين الألفاظ والمعاني، واعتبر اللغة أداة رمزية تُترجم المعقولات إلى محسوسات لفظية.أما ابن سينا، فقد عمّق هذا التصور حين ربط بين الدلالة والعملية الإدراكية، معتبرًا أن اللفظ علامة على المعنى الذهني، لا على الشيء الخارجي مباشرة. ويُظهر هذا الطرح فهمًا فلسفيًا متقدمًا لطبيعة العلامة ووظيفتها الوسيطة.الجذور البلاغية: السيميائية والبيانتمثّل البلاغة العربية أحد أهم الحقول التي تجلت فيها السيميائية العربية، خاصة عند عبد القاهر الجرجاني. فقد أسس الجرجاني في دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة نظرية متكاملة في الدلالة قائمة على مفهوم النظم، بل في العلاقات التي تربط بينها. كما تناول الجرجاني المجاز والاستعارة بوصفهما آليتين سيميائيتين لإنتاج المعنى غير المباشر.التصوف والرمزية فقد اعتمد المتصوفة، مثل ابن عربي،يتضح مما سبق أن السيميائية عند العرب لم تكن علمًا مستقلاً بمفهومه الحديث، لكنها كانت نسقًا فكريًا متكاملًا موزعًا بين الفلسفة، والبلاغة، والتصوف. وقد أسهم هذا التراث في بلورة فهم عميق لطبيعة العلامة والدلالة، بفعل انفتاحها على اللسانيات البنيوية، والأنثروبولوجيا، والبصرية، والإشهارية، والسينمائية، والثقافية عمومًا.التحوّل من سيمياء العلامة إلى سيمياء الأنساقإذا كانت السيميائية الكلاسيكية قد انشغلت بتحديد ماهية العلامة وبنيتها، فإن السيميائية الحديثة نقلت مركز الاهتمام إلى الأنساق الدلالية وآليات إنتاج المعنى داخل الخطابات. بل داخل شبكة من العلاقات والاختلافات. ومن ثمّ غدا النصّ نظامًا من العلامات المتفاعلة، لا مجرّد تجمّع لغوي.ويشير رولان بارت إلى أنّ كلّ نسق ثقافي يمكن أن يُقرأ بوصفه خطابًا دلاليًا، لأنّ العلامة لا تعمل منفردة، بل داخل منظومة ترميزية تحدّد قيمتها ووظيفتها.سيميائية رولان بارت: من الدلالة إلى الأسطورةيُعدّ رولان بارت (Roland Barthes) من أبرز أعلام السيميائية الحديثة، إذ طوّر التحليل السيميائي باتجاه الثقافة الجماهيرية. فقد ميّز بين مستويين للدلالة:الدلالة التعيينية (Denotation): المعنى المباشر. والصورة، والموضة،سيميائية أ. ج.طوّر ألغريداس جوليان غريماس (A. Greimas) ما عُرف بـ السيميائيات البنيوية،الذات، المرسِل، المساعد، تطوّرت السيميائية السردية التي درست آليات إنتاج المعنى في الحكايات والخطابات الأدبية.ومن أبرز مفاهيمها:البرنامج السرديالكفاءة والإنجازالتحوّل الدلاليالمسار التوليدي للمعنى.وهي مفاهيم كشفت أنّ السرد بنية دلالية عميقة تحكمها قوانين تحويلية.مثّل أمبرتو إيكو (Umberto Eco) اتجاهًا مغايرًا، إذ مزج السيميائية بالفلسفة التأويلية. وقد رأى أنّ العلامة لا تمتلك معنى ثابتًا، بل تنفتح على تأويلات لا نهائية داخل ما سمّاه السيميوز اللامحدود.وفي كتابه نظرية السيميائيات أكّد أنّ:النصّ «آلة كسولة» لا تشتغل إلا بالتأويل.وبذلك انتقلت السيميائية من تحليل البنية إلى تحليل التفاعل بين النصّ والقارئ.السيميائية الثقافية: مدرسة تارتو – موسكو والأساطير،مع تطوّر الوسائط البصرية،وقد ركّزت على:العلاقة بين الأيقوني واللغوي.ترميز الألوان والزوايا.البعد الإيديولوجي للصورة.التعدّدية المنهجية: تداخلها مع الفلسفة والأنثروبولوجيا والتحليل النفسي.توسّع مجال الدراسة: من اللغة إلى الثقافة الشاملة.الاهتمام بالتأويل: دور القارئ والمتلقي.تحليل الخطابات المعاصرة: الإعلام، الإشهار، السينما.البحث في إنتاج المعنى لا بنيته فقط.أفضت السيميائية الحديثة إلى إعادة تعريف العلامة بوصفها ممارسة ثقافية وتأويلية معقّدة، ولم تعد مجرّد وحدة لغوية. كما أسهمت في تطوير مناهج تحليل النصوص والخطابات، فاتحةً المجال أمام مقاربات متعددة الاختصاصات، جعلت من السيميائية علمًا عابرًا للحقول المعرفية.السيمياء (Sémiotique / Semiotics) وقد تبلورت السيمياء الحديثة مع بدايات القرن العشرين بوصفها علمًا يهدف إلى الكشف عن كيفية إنتاج المعنى وتأويله داخل الخطابات والنصوص والأنساق الثقافية.السيميولوجيا عند فرديناند دي سوسير، المرتبطة باللسانيات.السيميطيقا عند تشارلز ساندرس بيرس، ذات الطابع الفلسفي والمنطقي.العلامة (Le Signe)تُعدّ العلامة المفهوم المركزي في السيمياء، وقد اختلف تعريف العلامة باختلاف المنظورات النظرية:المدلول: المفهوم الذهني المرتبط بالدال. أي أن العلاقة بينهما ليست طبيعية بل اصطلاحية.العلامة عند بيرسقدّم بيرس تصورًا ثلاثيًا للعلامة، تتكون من:الموضوع (Object)وبذلك تصبح العلامة عملية دلالية مفتوحة قائمة على التأويل المستمر.الدال والمدلوليشير الدال إلى الجانب الحسي أو المادي للعلامة، ولا يكتسب أي منهما قيمته إلا داخل نسق لغوي أو ثقافي محدد، حيث تتحدد المعاني بالعلاقات والفروق، لا بالجوهر. ويعني أن العلاقة بين الدال والمدلول ليست ضرورية ولا طبيعية. بل تحكم ذلك أعراف اجتماعية وثقافية.النسق (Système)النسق هو مجموعة من العلامات التي تنتظم وفق علاقات داخلية ثابتة نسبيًا. ولا يمكن فهم أي علامة بمعزل عن النسق الذي تنتمي إليه، سواء أكان نسقًا لغويًا، أو بصريًا، فالمعنى وليد العلاقات،الدلالة (Signification)الدلالة هي العملية التي يتمّ من خلالها إنتاج المعنى.الإيحاء هو ذلك المعنى الإضافي الذي تحمله العلامة نتيجة شحنها الثقافي أو الأيديولوجي. ولا يكون الإيحاء ثابتًا، بل يتغير بتغير السياق الثقافي والتاريخي،الرمز، المؤشرالسردية السيميائيةطوّر ألغريداس جوليان غريماس تصورًا سيميائيًا للسرد، يقوم على:النموذج العاملي (الفاعل، المرسَل

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

إليه،المربع السيميائي لتحليل التقابلات الدلالية.وتهدف السردية السيميائية إلى الكشف عن البنى العميقة التي تحكم إنتاج المعنى في النصوص السردية.المربع السيميائي (Carré sémiotique)المربع السيميائي أداة تحليلية تكشف العلاقات المنطقية والدلالية بين المفاهيم المتقابلة (التضاد، التناقض، التضمين)، والكشف عن طرائق اشتغال الدلالة فيه. ومن ثمّ لم يعد النص يُنظر إليه بوصفه بنية لغوية مغلقة فحسب، بل باعتباره فضاءً سيميائيًا تتقاطع داخله شفرات ثقافية وجمالية وأيديولوجية متعددة. والدال والمدلول، والأيقونة، والمؤشّر، والرمز، وقد أظهر توظيف هذه المفاهيم فاعليةً إجرائية واضحة في تعميق الفهم، وتوسيع أفق التأويل، وتحرير القراءة من الاختزال الأحادي.وإذا كانت السيميائيات قد أفادت النقد الأدبي في تحليل البنيات النصية، فإنّ امتداداتها المعاصرة جعلتها تنفتح على مجالات أرحب، شملت الخطاب الإعلامي،

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي